تحليل ثقافة الحجاب في فكر آية الله الخامنئي

هادي وحداني فر[1]
زكية بيكم حسيني[2]

خلاصة البحث

لطالما كانت ثقافة الحجاب من الشعائر الدينية المهمّة ومن المبادئ العقليّة والنقليّة لمختلف الأديان لغرض حماية شخصيّة المرأة وحريم الأسرة. وتكمن أهمية الحجاب في أنه يرفع مكانة المرأة شخصياً واجتماعياً، ويضاف إلى هذا أن له دوراً عظيماً في ضبط الغريزة الجنسية ويساهم في الحؤول دون تهدّم أركان الأسرة وانتشار الفساد الاجتماعي. ونظراً لخطورة دور الحجاب والعفة، فإنَّ الغطرسة العالميّة للغرب تسعى إلى محاربة الحجاب وترويج ثقافة العُري والسفور بحجّة الحرّيّة والدفاع عن حقوق المرأة.

يحاول هذا المقال توضيح دور الحجاب وضرورته بمنهج وصفي وتحليلي من خلال جمع كلمات آية الله الخامنئي والأدلّة العلميّة والروائيّة الأخرى، بحيث يمكن رد الشبهة القائلة بالحجاب الإجباري، من خلال شرح دور الحجاب الاختياري العقلاني. وقد توصّل المقال إلى أنّ آية الله الخامنئي يعتبر الحجاب قضيّة مهمة ومنسجمة مع الطبيعة البشريّة، تحول دون اختلاط الجنسين في المجتمع. وأن منشأ معاداة الغرب لثقافة الحجاب هو: «السعي في نشر ثقافته المنحطة والمنحرفة

---

١. أستاذ مساعد في جامعة الشهيد باهنر بكرمان، كلية الحقوق والإلهيات - قسم الدراسات الإسلامية (الكاتب المراسل). hadivahdani@uk.ac.ir.

٢. طالبة دكتواره في الفلسفة الإسلامية، جامعة باقر العلوم بقم. zbh.atlas214@gmail.com.

في العالم»، و«النظرة الأداتيّة للمرأة»، و«هيمنة الثقافة الغربية لتدمير الدين»، و«نشر الإلحاد بين المتدينين». كما يؤكّد سماحته ضرورة الوقوف ضدّ ثقافة الابتذال والعري في الغرب وعدم الانخداع بتُرّهات دعاة التغريب، وذلك من خلال ذكر فوائد الحجاب والعفّة نحو: «ضمان الأمن للرجل والمرأة» و«احترام كرامة المرأة وتميّزها» و«السيطرة على الغرائز الجنسيّة» و«تماسك الأسرة».

المفردات الرئيسة: ثقافة الحجاب، الغرب، آية الله الخامنئي، العدوّ، المجابهة، الفوائد.

مقدّمة وبيان المشكلة

الحجاب من أكبر الشعائر الدينية وأهمّها في الأديان التوحيديّة. كما جاء في التوراة، والإنجيل، وديانة مازديسنا، والديانة الزرادشتيّة القديمة فضلاً عن القرآن الكريم. كما أنّ الأعمال المتبقّية من إيران القديمة تظهر أنّ النساء الإيرانيّات كنّ يرتدين حجاباً كاملاً وفريدًا حتّى قبل وصول الإسلام إلى الأراضي الإيرانيّة، بحيث لم يرد وصف النساء في أيّ موطنٍ من التاريخ الإيراني على مرّ آلاف السنين كعاريات أو شبه عاريات. ولهذا فإنّ بعض الكُتاب والفلاسفة الغربيّين يعترفون بأنّ دور الحجاب والتستر في إيران القديمة كان بارزاً جدّاً لدرجة أنّه يمكن اعتبار إيران المصدر الرئيس لنشر الحجاب في العالم[١].

تشير الأدلة إلى حقيقة أنّه قبل ظهور الإسلام ولقرونٍ عديدةٍ، كانت النساء الإيرانيات مثل نساء الدول المتحضرة الأخرى، يرتدين الحجاب، كما تقتضيه الطبيعة الإنسانيّة، والفطرة السليمة، والتعاليم الدينية، لدرجة أنّه خلال العصر الساساني، "لم يكن للنساء من الطبقات العليا الحق في مغادرة المنزل إلا في سرير مغطّى بالرداء، ولم يُسمح لهن مطلقاً بممارسة الجنس مع الرجال علانيةً"[٢]. وتؤكّد المنحوتات المتبقّية من تلك الفترات أيضاً هذه الحقيقة.

وقد بلغ التزام البنات الإيرانيّات بالحجاب قبل الإسلام إلى حد أنّه بعد هزيمة الساسانيين من العرب المسلمين، سيقت ثلاث من بنات الملك إلى الخليفة عمر، فلم تكشف هؤلاء البنات عن براقعهن أمام الرجال مع أمر الخليفة وتهديداته[٣].

ويعتبر آية الله خامنئي الحجاب تراثاً إيرانيّاً منذ آلاف السنين، ويعرّف الأمّة

---

١. تاريخ الحضارة: ٢/ ٧٨.

٢. المصدر نفسه: ١٠٢.

٣. السيرة الحلبية، ٢/ ٢٣٤.

الإيرانيّة كأمّة عفيفةٍ ونبيلةٍ حتّى قبل وصول الإسلام إلى هذه البلاد[١]. ممّا يدل على رزانة واحتشام المرأة الإيرانية قبل الإسلام.

يعتبر "شاهنامه" للفردوسي أكبر مصدر يمكن استخدامه لدراسة وضع المرأة قبل الإسلام في إيران. وقد تم إيلاء اهتمامٍ خاصّ بحجاب المرأة وعفّتها في شاهنامه، كتاريخ الحضارة الإيرانيّة، وقد تمّ وصف العديد من النساء بهذه السمة البارزة، من جملتها قصّة "شيرين" وقصّة سلطنة شيروية "تهمينة" (شاهنامه، قصّة رستم وتهمينة) و"منيجة" (شاهنامه، قصة بيجان ومنيجة) ...إلخ.

فمن خلال قصص وأشعار شاهنامه، يتّضح أن نساء الأشراف كنّ متسترات بعيدات عن أنظار الآخرين، بينما نالت نساء الطبقات الدنيا قسطاً أكبر من الحرّية.

وبعد دخول الإسلام إلى إيران، حافظت النساء المسلمات على ثقافة الحجاب والعفّة، بارتداء الخمار والجلباب وفقاً للأحكام الإسلاميّة[٢] وتجنّب الاختلاط[٣] وعدم الخضوع في القول[٤] والتبرّج[٥]، أمام غير ذوي المحارم، إلّا أنّ هذا الحجاب لم يعد للطبقة الأرستقراطيّة فحسب، بل حثّ الإسلام جميع المسلمات على ذلك من خلال أحكامٍ معيّنة، مثل آيات الحجاب وعدم الاختلاط بين الجنسين[٦] وتجنّب الإثارة الجنسيّة[٧].

إذن يمكن القول إنّ الدين الإسلامي أدخل الحجاب كمصداقٍ من مصاديق أحكام

١. قاعدة المعلومات لمكتب حفظ ونشر أعمال آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (مدّ ظله العالي).
٢. النور: ٣٠، والأحزاب: ٥٩.
٣. النور: ٣٠.
٤. الأحزاب: ٣٢.
٥. الأحزاب: ٣٣.
٦. النور: ٣٠-٣١ .
٧. الأحزاب: ٣٢.

الدين الحنيف، وكنموذج من نماذج الانسجام بين الخَلق والعقل والفطرة، ويمكن أن يكون المراد بفطرة الله أحكام الدين الحنيف[١].

واستمرّ هذا النوع من التفكير والمواظبة على الحجاب حتّى عهد ناصر الدين شاه، ومع دخول الثقافة الغربيّة إلى البلاد واشتياق الملوك الإيرانيين إلى الثقافة الغربيّة واستعراض نسائهم السافرات، ظهرت تدريجيّاً آثار السفور بين بعض النساء الأرستقراطيّات.

يعتبر آية الله الخامنئي رجال البلاط القاجاري وأبناء الملوك القجر من بدايات ما يسمى بـ "الحداثة" والتي انبهرت بالثقافة الغربيّة والتقدّم الغربي، وبدلاً من السعي من أجل تقدّم إيران، قاموا بتقليد الغرب، واعتبروا تطوّر إيران في تغريبها من جميع الجهات[٢] هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى انجرفت بعض الإيرانيّات نحو السفور عبر الحركة الدستوريّة آنذاك، وظهرت حجج معارضي الحجاب على شكل أشعارٍ كانت بمثابة الإعلام الثقافي في تلك الحقبة. وقد ورد في التاريخ أنّه بجانب التفكير التقليدي العام حول المرأة، كان هناك موقفٌ جديدٌ تحت تأثير التواصل مع المجتمعات الغربيّة، حيث ظهر تأثير الثقافة والحضارة الأوروبيّة، الأمر الذي تجلى أكثر في الشعر على شكل نقدٍ اجتماعيّ لوضع المرأة آنذاك. فقد كان الحديث عن حقوق المرأة وحرّيّتها ووجودها في المجتمع وحقّها في المشاركة في الانتخابات هي أمثلة على تجسيد هذا الموقف الجديد في الشعر[٣].

وكان بعض الشعراء يعارضون الحجاب أمثال "أبو القاسم اللاهوتي" في قصيدته

١. الروم: ٣٠.

٢. قاعدة المعلومات لمكتب حفظ ونشر أعمال آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (مدّ ظله العالي).

٣. مجلة المرأة في الثقافة والفن لجامعة طهران:١/ ٧٩.

الشهيرة "فتاة إيران"[١]، و"ميرزاده عشقي" في قصيدة "الكفن الأسود"[٢] و"ملك الشعراء بهار" في قصيدة "المرأة شِعر الله" التي كتبها عام ١٣٠٧. فقد أشار ملك الشعراء إلى تعدّد الزوجات وضرورة منع الرجال من ذلك، وخلص أخيراً إلى القول:

نشود منقطع از كشور ما اين حركات تا كه زن بسته و پيچيده به چادر باشد

[لا تُستأصل هذه المشاكل من بلادنا ما دامت المرأة مربوطة وملفوفة بالجلباب][٣].

لكن في مقابل هذه الموجة المروّجة لنزع الحجاب، حثّ شعراء آخرون مثل هاتف أصفهان[٤] وشهريار[٥] وأوحدي المراغي[٦] ونسيم شمال على الحجاب ودافعوا عنه. فيرى "نسيم شمال" الحجاب أرجح من تحصيل العلم، ويعتقد أنّ الحجاب له صلة وثيقة بالإسلام ولا يمكن تجاهله، فأنشد هذه الأبيات:

يك چادرى از عفت وناموس به سر كن آن گاه برو مدرسه تحصيل هنر كن
خود را ز كمالات هنر نور بصر كن چون دختر بى علم نزد همه خوار است

[اِرتدِي جلباباً من العفة والشرف، ثم اذهبي إلى مدرسة لتحصيل العلم، واجعلي كمالات العلم نور بصركِ، لأنّ المرأة الجاهلة حقيرة في عيون الجميع[٧]].

وقد استمرت حالة الحث على السفور إلى أن سافر رضا شاه البهلوي إلى تركيا في

١. اى دختر نامدار ايران... از روى خود اين نقاب بردار.
چون دخترکان اوزبکستان... چادر بنه و کتاب بردار (كليات أبوالقاسم لاهوتي: ٦٤٩).
٢. ور نه تا زن به زن به كفن سر برده... نيمى از ملت ايران مرده (كلّيات مصور عشقي: ٢١٩).
٣. ديوان أشعار: ٣٦٨.
چون دخترکان اوزبکستان... چادر بنه و کتاب بردار (كليات أبوالقاسم لاهوتي: ٦٤٩).
٤. خوب كردى كه رخ از آينه پنهان كردى... هر پريشان نظرى لايق ديدار تو نيست.
٥. دارد متاع عفت از چارسو خريدار... بازار خود فروشى اين چار سو ندارد.
٦. زن مستور، شمع خانه بوَد... زن شوخ آفت زمانه بوَد.
٧. كلّيات جاودانه نسيم شمال: ٣٠٩.

ربيع عام ١٣١٣ش، ويبدو أن ملاحظته للوضع الاجتماعي في ذلك البلد ووضع المرأة هناك - وربّما بعض الأسباب الاستعماريّة الأخرى - جعلته يتوهّم بأنّ علة الحرمان الذي تتعرض له المرأة الإيرانية هو حجابها. فأصدر في ١٧ يناير ١٣١٤ (١٩٣٥م) مرسوماً بنزع الحجاب[١].

إنّ تصريحات رضا شاه في ذاك اليوم هي، من ناحية، دليلٌ على الحرمان والمعاناة التي مرّت بها المرأة الإيرانيّة في الماضي، ومن ناحية أخرى، تأكيدٌ على التوهّم الذي سبق ذكره. لأنّ الطريقة التي بدأ بها رضا شاه هي بدورها تعتبر شكلاً من أشكال الإذلال والإهانة للمرأة وتؤدّي بها إلى مزيد من الضرر والانغماس في الشهوات[٢].

وقد عبّر آية الله الخامنئي عن فعلة رضا شاه التعسفيّة بأنّه بدلاً من جلب العلم والتحضر لشعب بلاده من الغرب جلب السفور بقوة الرمح[٣]، فوجد ازدهار بلده في تغيير زي الناس وتقليد الغرب في المظهر بدلاً من تقليدهم في العلم والمعرفة، حيث أجبر الناس على ارتداء زيّ معيّن ونزع الحجاب، ولم يكن هذا سوى مجرد خسارةٍ كبيرةٍ للبلد، بل هي مصدر عارٍ وضياعٌ في متاهة الأخطاء[٤].

ومع انتصار الثورة الإسلاميّة وانتهاء العهد البهلوي المُخزي والمظلم، فُتحت أبواب الرشد والمعنويّة لنساء البلد المتديّنات، حيث تمكنَّ من الدخول إلى مختلف المجالات العلميّة والثقافيّة والفنّيّة، والعمل دون خوف من البيئة الاجتماعيّة. لكن مع ذلك لم يستسلم العدو، فقد لجأ هذه المرة إلى أساليب جديدةٍ بتكلفةٍ كبيرة لغرس ثقافته المنحرفة.

١. از نيما تا روزگار ما،: ١٢.
٢. شعر كهن در ترازوى نقد أخلاق أسلامي: ١٤١.
٣. قاعدة المعلومات لمكتب حفظ ونشر أعمال آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (مدّ ظله العالي).
٤. المصدر نفسه.

إنّ روح الاستعمار والنهب عند الأعداء الغربيين جعلتهم يسعون دائماً إلى نهب ثروات الدول الأخرى، ولم تكن إيران الإسلاميّة في مأمن من هذا النهب والغزو، ومن أهمّ أعمال العدوّ في مواجهة الثقافة والهويّة الإسلاميّة هي استخدام "الحرب الثقافيّة"، و"الغزو الثقافي". وبنحوٍ عام، يفرض نظام الهيمنة في الأدب السياسي، ثقافته الخاصّة بالقوّة من أجل الاستيلاء على أمّة ما، وهذا ما يسمى "الغزو الثقافي".

يقول آية الله الخامنئي في هذا الصدد:

> **الغزو الثقافي هو عندما تهاجم مجموعة سياسيّة أو اقتصاديّة الأسس الثقافية لأمّةٍ ما لأغراضها السياسيّة والاستيلاء عليها. هذه المجموعة تجلب أشياء جديدة إلى ذلك البلد وتلك الأمة، وتستهدف استبدالها بالثقافة والمعتقدات الوطنيّة، والتي تسمى الغزو الثقافي[١].**

ونظراً إلى هذا الغزو، يؤكد آية الله الخامنئي على أهمّية ثقافة الحجاب والعفّة كثيراً ويدافع عنها بشكلٍ صريحٍ ومُقنع.

سؤال البحث وأهدافه

يمكن القول إنّ الحجاب من أكبر الشعائر الدينية وأهمّها في الأديان الإلهيّة وخصوصاً في الإسلام. ونظراً لما لِثقافة الحجاب والعفّة من مكانةٍ مهمّة في التعرّف على شخصيّة المرأة المسلمة وتعزيز أركان الأسرة في تربية الأبناء وحُسن التبعّل والمسؤوليّات الاجتماعيّة الموجّهة إلى المرأة، حاول العدو الاستعماري سلب حق المرأة في التحجب والتعفف، كما في الآونة الأخيرة، من خلال اختلاق مصطلح "الحجاب القسري"، والذي استهدف عدم كفاءة ثقافة الحجاب. ولهذا ينبغي دراسة هذه المسألة من منظار قائد الثورة كقائد للأركان العامة، وكأعلى مرجع ديني وقانوني في مجال مواجهة الغزو

١. المصدر نفسه.

العسكري والثقافي، ليتبين أنّ اختلافنا مع الغرب في قضيّة الحجاب هو اختلافٌ جذريٌّ وعميقٌ. وأنّ العدوّ -من خلال وصف الحجاب بغير المجدي والقسري والمتخلف- يستهدف القضاء على دور المرأة في المجالين الشخصي والاجتماعي، وتدمير أساس الأسرة.

إنّ الاستكبار العالمي يعتبر في بلدانه ثقافةَ العري وخلع الحجاب حرّيّة وديمقراطيّة وحداثة، وقد وقع البعض في فخ الثقافة الغربيّة عن علمٍ أو جهلٍ، حيث لا يدّخرون جهداً في الترويج للسفور ورفع الحجاب.

والسؤال المطروح هو: ما الحلول العلميّة والعمليّة التي يقدمها قائد الثورة الإسلاميّة في الدفاع عن ثقافة الحجاب والترويج لها في مقابل ثقافة السفور والإباحيّة الغربية؟

وفي هذا الصدد تلزم الإجابة عن السؤالين الآتيين:

١- ما أسباب صراع الغرب مع ثقافة الحجاب برأي آية الله الخامنئي؟

٢- ما فوائد وآثار الحجاب في فكر آية الله الخامنئي؟

خلفيّة البحث

لقد أُثبتت أهمية الحجاب وذُكرت فوائده في المصادر الإسلامية من القرآن الكريم[١]. والروايات الإسلامية، كما تم تطبيقه من قبل أزواج النبي ﷺ وزوجات المسلمين، لكن نظراً لعنوان المقالة المتكون من ثلاثة أجزاء: "الثقافة"، و"الحجاب"، و"آية الله الخامنئي"، لم تُجر بحوث شاملة لكلّ هذه العناصر الثلاثة، بل بُحثت كلّ منها على حدة، أو جُمعت بعض هذه المفردات مع مفردات أخرى تحت عنوان كتاب، أو أطروحة (ماجستير أو دكتوراه) أو مقال، وفيما يلي نذكر بعضها بإيجاز:

١. النور: ٣١، الأحزاب: ٥٩.

١- الكتب: أ) الحجاب لمرتضى مطهري؛ ب) راههای تقویت فرهنگ حجاب [طرق تقوية ثقافة الحجاب] لعباس رجبي؛ ج) پوشش حجاب اسلامی و چالشها و راهکارها با رویکردی مهندسی فرهنگی [الحجاب الإسلامي والتحديات والحلول بمنهج الهندسة الثقافيّة] لحسن بنيانيان؛ د) حجاب اولين دانشگاه وآخرين پيامبر [الحجاب، الجامعة الأولى وخاتم الرسل]، للشهيد الدكتور سيد رضا باك نجاد.

٢- الأطروحات: لم تُكتب أطروحة بهذا العنوان خاصةً، لكن بُحثت أطروحات الدكتوراه في موضوعات الثقافة والحجاب وآية الله الخامنئي بنحو مستقل؛ منها: أ) معنابخشی عاشورا در فرهنگ سیاسی جمهوری اسلامی ایران [مفهوم عاشوراء في الثقافة السياسيّة لجمهورية إيران الإسلاميّة]، علي رضا تنهائي، ٢٠١٧، جامعة العلّامة الطباطبائي؛ ب) فرهنگ سیاسی مطلوب در نهج البلاغه [الثقافة السياسية المفضلة في نهج البلاغة]، حسن زراعي محمود آبادي، ٢٠١٣، جامعة العلّامة الطباطبائي؛ ج) پنداشت زنان ایرانی درباره حجاب بر اساس کنش متقابل نمادین [رأي النساء الإيرانيّات في الحجاب بناءً على التفاعل الرمزي]، زهرا آبيار، ٢٠١٨، جامعة الأديان والمذاهب؛ د) چگونگی حجاب در عصر نزول قرآن تحلیل و نقد دیدگاه ها [كيفيّة الحجاب في عصر نزول القرآن، تحليل ونقد الآراء]، محمّد رضا شاه سنائي، ٢٠١٥، جامعة القرآن والحديث بقم؛ ه) انقلاب اسلامی در منظومه فکری آیت الله خامنه‌ای [الثورة الإسلاميّة في المنظومة الفكريّة لآية الله الخامنئي]، أمير سياه بوش، ٢٠١٥، جامعة الدراسات الإسلاميّة.

٣- مقالات: أمّا بالنسبة للمقالات العلميّة البحثيّة، فهناك عناوين مشابهة لعنوان البحث الحالي حول ثقافة الحجاب بفارق أنّها لم تُبحث على ضوء آراء الإمام الخامنئي. منها: أ) نقش رسانه‌های جمعی در گسترش فرهنگ حجاب و عفاف زنان

[دور الإعلام في نشر ثقافة الحجاب وعفة المرأة]، مهرداد متاني، مجلة زن وفرهنك، صيف ٢٠١٦، العدد ٣٢، ص ٤٦ – ٣٧؛ ب) نقش حجاب زنان در سلامتی روانی اجتماع و راهكارهای مقابله با فرهنگ بدحجابی [آثار حجاب المرأة في الصحّة النفسيّة للمجتمع وإستراتيجيّات التعامل مع ثقافة السفور]، سحر صفرزاده، مجلة المرأة والثقافة، شتاء ٢٠١٨، العدد ٢، ص ٥٩-٧٢؛ ج) ريشه يابی عوامل مؤثّر، بر توسعه فرهنگ حجاب و عفاف و ارزيابی راهبردهای نقشه مهندسی فرهنگی [البحث عن جذور العوامل المؤثّرة في تنمية ثقافة الحجاب والعفّة وتقييم إستراتيجيّات الخريطة الهندسيّة الثقافيّة] السيّد مازيار علوي وآخرون، المجلة الثقافيّة والتعليميّة للمرأة والأسرة، شتاء ٢٠١٥، العدد ٣٧، ص ٧-٤٧؛ د) بررسی نقش مدارس اسلامی در تقويت فرهنگ حجاب از منظر سرمايه اجتماعی [دراسة دور المدارس الإسلاميّة في تعزيز ثقافة الحجاب من منظور رأس المال الاجتماعي]، أبو الفضل شكوري وجليل دارا، خريف ٢٠١٨، العدد ١٥، 17ص ٧١-٩٨.

ومع أنّ هذه الأبحاث جديرةٌ بالثناء؛ لكن مما يؤسف له أنه مع أهمّية قضيّة الحجاب ودورها الاستراتيجي من المنظور الفقهي والحكومي لآية الله الخامنئي، لم يجرَ بحث مناسب وجدير بالذكر تحت عنوان "تحليل ثقافة الحجاب من منظار آية الله الخامنئي"، لتوجيه أتباع المدرسة الثوريّة نحو التعزيز المعرفي والعملي. وأما بالنسبة للكلمات الرئيسة الثلاث في عنوان البحث، فيمكن من خلالها تبيين وجوه عداء الغرب للحجاب، والجهل الحديث؛ لأنّ هذه الكلمات الثلاث لها دورٌ فعّالٌ جداً في البنية الاجتماعيّة والثقافيّة والقيم الإسلاميّة والوطنيّة على صعيد الضمان الشخصي والاجتماعي والاعتقادي والدفاعي ضدّ الثقافة الغربيّة المبتذلة.

مفاهيم البحث

أ: دراسة مفاهيميّة للثقافة

إنّ كلمة "فرهنگ" [أي: الثقافة] في اللغة الفارسيّة تعني العلم والمعرفة والأدب والفكر والحكمة ومجموعة من العادات والمعتقدات لشعبٍ ما، من حيث العرق والدين والشؤون الاجتماعيّة[١]، وقيل إنّها تتكوّن من عنصرين: "فر" أي المجد والجدارة والزينة والجلال والسلطة، و"هنگ" أي الشخصية والشرف والفضيلة والمعرفة والوعي والذكاء، وقد استخدم كلّ منهما على حدة في القصائد والأدب الفارسي ولهما معان متعدّدة، من بينها: الوعي، والمعرفة، والخبرة، والفهم، والبصيرة والإدراك، والمجد، واللياقة، والشرف، والشخصيّة، والفضيلة[٢].

وقد أجرى العلّامة الجعفري بحثاً عن الثقافة في القواميس والموسوعات الشرقيّة والغربية الشهيرة كالقواميس الفارسية والعربية واليونانية والفرنسية والألمانية والأمريكية والروسية واليابانية والصينية والهندية[٣] ويدلّ هذا البحث على الأهمّية والاهتمام بالثقافة وعدم انحصارها بالحدود الجغرافيّة ومداها الدلالي من حيث المعنى والمصداق. وفي هذا الصدد قدّم العلماء معاني عامّة ومحددة للثقافة، مثل: تامبسون[٤]، وكروبر وكلاك هون، وتيلور[٥]، ومايرس[٦]، وهيرسكوتيس[٧] وسمول[٨].

١. فرهنك دهخدا: ٢١١٧.
٢. انظر: فرهنك؛ ريشه يابي وكاربرد در زماني آن،: ٦-١٠٢.
٣. انظر: فرهنگ پيرو فرهنگ پيشرو: ١٢٤-٢٣.
٤. ايدئولوژى وفرهنگ مدرن: ١٥٧.
٥. تعريفها ومفهوم فرهنك: ٣٧.
٦. المصدر نفسه: ٤٤.
٧. المصدر نفسه: ٥١ و ٤٩.
٨. المصدر نفسه: ٥٣.

وأمّا "الثقافة" من منظار آية الله الخامنئي، فقد تُستخدم الكلمة بمعناها العام فتشمل مطلق برامج أمّة ومجتمع على مستوى الإيمان والقول والفعل، حيث قال سماحته: "الثقافة تعني معتقدات الناس وإيمانهم وعاداتهم والأمور التي يتعامل معها الناس باستمرار في حياتهم اليوميّة وتلهمهم في تحرّكاتهم وأفعالهم[١]. وعلى هذا الأساس، فإنّ الثقافة بالمعنى العام من منظار آية الله الخامنئي، هي برنامج نظري وعملي في المجالين الإسلامي والوطني، والحجاب من مصاديقها المهمة والعملية.

ب: دراسة مفاهيميّة للحجاب

الحجاب لغةً يعني الستر[٢]. والمنع من الوصول[٣].

وقد وردت لفظة الحجاب في القرآن الكريم نكرةً في أربع آيات في مواضع مختلفة، منها حجاب بين أهل الجنّة والنار[٤]، وكأحد أنواع مخاطبة الله للبشر، أي من وراء حجاب[٥]، وبيان كيفيّة سؤال الناس زوجات النبي[٦]، وبيان حالة المشركين إزاء دعوة النبي ﷺ[٧]، وكلّها تعني الحاجز والغطاء والستر والحائل. كما وردت المعاني نفسها في الروايات الإسلاميّة[٨].

يقول الأستاذ المطهري:

سمّي الحاجب بالحجاب لأنّه عائق أمام العينين من أشعة الشمس، وعليه فإنّ الحجاب يمنع الجانبين من الالتقاء عن طريق اللمس والبصر. وأمّا الحجاب في اصطلاح الفقه،

١. قاعدة المعلومات لمكتب حفظ ونشر أعمال آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (مدّ ظله العالي).
٢. لسان العرب ١/ ٢٩٩.
٣. مفردات ألفاظ القرآن: ٢١٩.
٤. الأعراف: ٤٦.
٥. الشورى: ٥١.
٦. الأحزاب: ٥٣.
٧. فصّلت: ٥.
٨. كتاب سليم بن قيس الهلالي: ٢/٨٧ -٤٧ ؛ المحاسن: ١/١٠١.

فهو لباس ترتديه المرأة في محضر الأجنبي، مع أنّ كلمة الحجاب قلّ استخدامها في الكتب الفقهيّة بهذا المعنى، بل وردت فيها لفظتي الستر واللبس أكثر للتعبير عن هذا المعنى[١].

وثمّة ألفاظ أخرى وردت في القرآن الكريم بمعنى الحجاب، منها: «خُمُرِهِنَّ»[٢] و«جَلاَبِيبِهِنَّ»[٣]، وهو ما يعرف بآيات الحجاب، حيث استعملت في معنى الستار والغطاء، كما يقول الراغب الأصفهاني:

أصل اَلْخَمْرِ: ستر الشيء، و يقال لما يستر به: خِمَارٌ، لكن اَلْخِمَارُ صار في التعارف اسما لما تغطّي به المرأة رأسها، و جمعه خُمُرٌ»[٤].

ويقول العلّامة الطباطبائي في تفسير «خُمُرِهِنَّ»:

الخمر بضمّتين جمع خمار وهو ما تغطّي به المرأة رأسها وينسدل على صدرها، والجيوب جمع جيب بالفتح فالسكون وهو معروف، والمراد بالجيوب الصدور، والمعنى: وليلقين بأطراف مقانعهنّ على صدورهن ليسترنها بها»[٥].

كما أنّ الطبرسي أيضاً أورد هذا المعنى أي: المقنعة[٦].

وأمّا بالنسبة لمعنى الجلابيب، من أنواع الستر، فهناك اختلافٌ بين المفكّرين الإسلاميّين، فقال ابن كثير:

الجلباب هو الرداء فوق الخمار، وهو بمنزلة الإزار اليوم. وقيل: الجلباب الملحفة (ما يغطّي الرأس والصدر ومقدّمة الصدر)[٧].

كما اعتبر الفيومي الجلباب قميصاً وثوباً أطول من الخمار وأصغر من الرداء، ويروي

١. يادداشت هاي أستاذ: ٧٩ .
٢. النور: ٣١.
٣. الأحزاب: ٥٩.
٤. مفردات ألفاظ القرآن: ص ٢٩٨.
٥. الميزان في تفسير القرآن، ١١٤/١٥-١١٥.
٦. مجمع البيان في تفسير القرآن ٢١٧/٧.
٧. النهاية في غريب الحديث: ج ٢٨٣/١.

عن ابن فارس أنّه قال: الجلباب ما يلبس من قميص وغيره[١].

وقال الراغب الأصفهاني:

الجلابيب، القُمُص والخُمُر[٢].

وقال العلّامة الطباطبائي:

الجلابيب جمع جلباب وهو ثوبٌ تشتمل به المرأة فيغطّي جميع بدنها أو الخمار الذي تغطي به رأسها ووجهها، وقوله: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ أي يتستّرن بها فلا تظهر جيوبهن وصدورهنّ للناظرين.

كما أورد الطبرسي أقوالاً مختلفةً قريبة من المعنى الثاني، أي الخمار والقناع[٣]. وأردف العلّامة الطباطبائي في تفسير آية الجلابيب قائلاً:

وقوله: ﴿ذٰلِكَ أَدْنىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاٰ يُؤْذَيْنَ﴾ أي: ستر جميع البدن أقرب إلى أن يعرفن أنّهنّ أهل الستر والصلاح فلا يؤذَين، أي: لا يؤذيهنّ أهل الفسق بالتعرض لهنّ. وقيل المعنى: ذلك أقرب من أن يعرفن أنّهنّ مسلمات حرائر فلا يتعرّض لهنّ بحسبان أنّهن إماء أو من غير المسلمات من الكتابيات أو غيرهن، والأوّل أقرب[٤].

ومع ذلك، يرى الجبائي والطبرسي أنّ حجاب المرأة المسلمة علامة على حرّيتها مقارنةً بالأمَة والجارية[٥]، وهذا يدلّ على حرمة المرأة الحرّة وعفتها.

ويبدو أنّه بحسب استعمال كلمة الحجاب في الستر، أصبحت في العرف عَلماً يشير غالباً إلى الملاءة السوداء (الشادورة)، مع أنّه يشمل غيرها، لكنّها هي أكمل أنواع الحجاب. وفي الاستعمالات القرآنيّة بُين نوع الستر وكيفيّته والمانع من رؤية جمال المرأة، فضلاً عن وجوب ستر المرأة لمواضع الزينة عن أنظار الأجانب.

---

١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ج ١٠٤/٢.
٢. الراغب الأصفهاني، المصدر نفسه: ١٩٩.
٣. مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٥٨٠/٨.
٤. الميزان في تفسير القرآن ١٦ / ٣٤٠-٣٣٩.
٥. مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٥٨١/٨.

قال آية الله الخامنئي موضّحاً سبب الستر والمنع في معنى الحجاب:

إنّ الحجاب يعني منع اختلاط الرجل بالمرأة الأجنبيّة في المجتمع من دون قيود[١].

وقال أيضاً:

إنّ الحجاب فرع من فروع الدين، والملاك فيه الحرمة الجنسيّة، فلا أقصد بالحجاب لبس الملاءة السوداء، بل المقصود هو أصالة الحرمة الجنسيّة، أي مراعاة الحريم الخصوصي بين الجنسين، وأمّا شكل الحجاب فهو يختلف باختلاف الأزمنة والمناسبات والأماكن، لكن جوهر هذه الخصوصيّة هو من المبادئ الفكريّة في الإسلام[٢].

وقد عرّف سماحته الملاءة كرمزٍ للمرأة الإيرانيّة[٣]، فإنَّ الحجاب في الثقافة الإسلاميّة بشكلٍ عام، هو ثوب وستر ديني، أعمّ من الملاءة والعباءة والمقنعة والرداء، تردتديه المرأة في محضر الأجنبي، بحيث يغطي مواضع جمالها من الأذنين والرقبة والشعر والصدر والجسم عدا الوجه والكفين وباطن القدمين، فهو بالإضافة إلى كونه من الشعائر والرموز المهمة في الإسلام كذلك يعتبر من آثار الإيمان وعلاماته، وهو حائل يمنع التعدي على حريم المرأة ويضمن سلامة المرأة والرجل وأمنهما وبالتالي يضمن أمن المجتمع. ويمكن أن يقال: حسب المعنى الباطني للحجاب -أي كونه حاجزًا ومانعًا عن نظر الأجنبي- يجب على الرجل والمرأة تجنب إظهار الجمال والتغنج والبصبصة، ما يمنع الاختلاط بين الرجل والمرأة.

طريقة البحث

لقد أجري هذا البحث بالمنهج "الوصفي - التحليلي" من خلال جمع المعلومات ومراجعة المكتبات وتدوين الملاحظات ورصد مواقع موثوقة عبر الويب. وتجدر الإشارة

١. قاعدة المعلومات لمكتب حفظ ونشر أعمال آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (مدّ ظله العالي).
٢. المصدر نفسه.
٣. المصدر نفسه.

إلى أنّ البحث الوصفي يصف ويفسّر ما هو موجود ويهتمّ بالظروف والعلاقات القائمة، والمعتقدات الشائعة، والعمليّات المتداولة، والآثار المشهودة أو الاتجاهات النامية، ويتضمّن جمع المعلومات لاختبار الفرضيّات أو الإجابة عن الأسئلة ذات الصلة بموضوع البحث.

ويمكن أن يؤدي إجراء البحث الوصفي التحليلي إلى فهم دقيق لمشكلة البحث والمساعدة في عملية صنع القرار. ولأن معالجة المعلومات هي من أساسيات البحث ضمن الدراسات الإسلامية، فإن هذا البحث سيحاول توضيح آثار الحجاب وثمراته على ضوء خطابات قائد الثورة الإسلاميّة في مجال ثقافة الحجاب والعفة.

معطيات البحث

وهنا من الضروري دراسة الأسئلة والأهداف التي تمّ تحديدها في البحث، من أجل الوصول إلى فهم دقيق لثقافة الحجاب من منظار آية الله الخامنئي، فيتمّ التحقيق أوّلاً حول جذور عداء الغرب وقوى الاستكبار العالمي تجاه الحجاب والقيم الإسلامية، ومن ثم دراسة آثار الحجاب.

١) جذور عداء الغرب لثقافة الحجاب الإسلامي

من المعلوم أن الغرب يحاول استعمار سائر البلاد واستغلال ثرواتها ليتمكّن من توفير رفاهيّته المادّية، ولتحقيق ذلك يجب أن يكون قادراً على إضعاف الطاقات الإيجابية في المجتمعات، وهو أمرٌ لا يتسنّى له إلّا من خلال إفساد المجتمعات. وإفساد المجتمع رهن إفساد المرأة، كما قال الإمام الخميني رحمه الله:

> **لو جرّدوا الأمم من النساء الشجاعات والمربّيات للإنسان، فسوف تهزم هذه الأمم وتنحطّ.**

وهدف العدو أيضاً هو إشاعة الفساد في المجتمعات الإسلاميّة.

وبناءً على تصريحات قائد الثورة، يمكن دراسة أسباب معاداة الغرب لثقافة الحجاب من الجوانب التالية:

١-١) الترويج للثقافة الغربية في العالم

بالالتفات إلى القوة العسكريّة والاقتصاديّة والسلطة الإعلاميّة التي يمتلكها الغرب والولايات المتّحدة بوجهٍ خاصّ وأتباعهم في الدول الأوروبيّة، يزعم هؤلاء أنّ العالم يجب أن يحكمه نظامٌ أحاديّ القطب، ويجب تمهيد الطريق إلى تحقّق عولمة الثقافة الغربيّة. ومن هذا المنطلق يعتبر حجاب المرأة من أهمّ المعوقات في طريق العولمة؛ لأنّه الطاقة الكامنة والمحركة للمجتمعات.

وفي هذا السياق يفضح آية الله الخامنئي هذا السيناريو الخطير المخطط له مسبقاً من قبل الثقافة الغربية، وهو ما يطلق عليه «الإصلاحات الأمريكية». ويعتقد سماحته أنه ومع تشدق الغرب بالحرية والتفكير الحر، إلّا أنهم يتصرفون بتعصب شديد بشأن الثقافة، ويقدمون ثقافتهم كمعيار عالمي، ويفرضونها على سائر الدول بما فيها إيران، فيلزم برأيهم اتباع هذا المعيار العالمي والتكيف معه. وهذا هو سبب تعاملهم مع قضية الحجاب، كعنصر معارض للمعايير العالمية [الغربية][١].

ويضيف سماحته: إن معيار العالم الغربي في تأييد الطرف الآخر هو موافقته أو عدم موافقته على الثقافة الغربية، فمن لا يوافق على الثقافة الغربية – مهما كان له من مكانة مرموقة – فهو مرفوض عند الغرب، ومن يتفق معها فهو مقرّب إليهم ومرحَّب به لديهم، حتّى لو كان مستبدّاً أو طاغية أو منتهكاً لحقوق الإنسان[٢].

وقال قائد الثورة:

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه.

«إنّ العدو يسمي مثل هذه الإجراءات العدوانية والتي تؤدي إلى تدمير القيم الإنسانية السامية، بما في ذلك الحجاب،"الإصلاحات". طبعاً، إنّ هذا النوع من الإجراءات المدمّرة للحدود الأخلاقيّة والدينيّة هي فعلاً "إصلاحات أمريكية"»[١]؛ «لأنّ طبيعة الحضارة الغربيّة تقوم على التزييف والاحتيال، وقد تمكنوا بهذه السياسة من نشر ثقافتهم السائدة في أرجاء العالم، وقد أوصلوا المرأة باسم الحرية، إلى مرحلةٍ أصبح همّها الوحيد اليوم هو عرض جسدها لإشباع غرائز الرجال»[٢]؛ «إذ إنّ السياسة الأساسيّة وإستراتيجيّة الغرب تقوم على إظهار جسد المرأة وجرّها نحو الفجور، والحجاب هو عنصر يعارض هذه السياسة بشدّة، ولذلك يحارب الغرب الحجاب، حتّى لو كان بدافع غير ديني»[٣].

١-٢- نظرة الغرب الأداتية للمرأة

الحجاب الإسلامي هو رمزٌ للروحانيّة، والغرب لا يعارضه بنظرته الليبراليّة والمادّية فحسب، بل يحاربه بكلّ الأساليب؛ لأنّ الغرب لا ينظر إلى المرأة كإنسانة تتحلّى بالكرامة والاحترام، بل ينظر إليها بنظرة أداتيّة، ويعتبرها مصدر دخل ووسيلة لإثارة الرجال والتلذذ بها. ويعتقد أنّ المرأة إذا ارتدت الزي الإسلامي، سيكون لها سلوك وشخصيّة إسلاميّة، وحينئذٍ لا يمكن استغلالها وجني المال من خلالها. ولذلك تراهم يعارضون الحجاب لأنّهم يجدونه عقبةً في طريق استغلالهم السياسي للمرأة.

ويرى آية الله الخامنئي أن تشجيع الغرب للمرأة على السفور دليلٌ على الهيمنة الذكورية في الغرب، إذ إن هذه الحالة تنشأ من أنانيّة الرجل بحيث توقع النساء باسم الحرّية في أسر الرجال وتجعلهن عُرضةً للتلذذ البصري للذكور[٤]. وهذه النظرة الأداتيّة إلى المرأة، والتي تأسّست في الثقافة الغربيّة ليست وجهة نظر خاطئة ومهينة للمرأة فحسب، بل من خلالها تستغلّ النساء استغلالاً غير مشروع من قبل الرجال، تحت مسمّياتٍ كالحرية وحقوق الإنسان[٥].

١. المصدر نفسه.
٢. المصدر نفسه.
٣. المصدر نفسه.
٤. المصدر نفسه.
٥. المصدر نفسه.

وفي الواقع، يجب تحميل الغرب المسؤوليّة عن الاضطهاد الذي يمارس ضدّ النساء، إذ جعل المرأة أداة لخدمة الرجل، فهي إضافة إلى كونها أداة لمنح المتعة الجنسيّة، فإنها تعتبر وسيلة لبيع السلع أيضاً، وهذه أكبر إهانة ممكنة للمرأة. لكنّ المرأة المسلمة استطاعت من خلال الحجاب وحفظ كرامتها أن تنخرط في نشاطات مختلفةٍ في مختلف المجالات العلميّة والثقافيّة والاجتماعيّة والفنّية والرياضيّة، وهذا أمرٌ لا يحتمله الغرب، كما أشار إليه قائد الثورة في لقاء جمعه مع الرياضيين وأصحاب الميداليات قائلاً:

من دواعي الفخر حضور نسائنا في المسابقات الرياضيّة بالحجاب الإسلامي، وقد ارتدت بعضهنّ الملاءة، أي الحجاب الإسلامي الإيراني بشكلٍ خاصّ، والذي يعد رمزاً للمرأة الإيرانيّة في جميع أنحاء العالم؛ فهذا أمرٌ عظيم جدّاً... هذه الأمور تدلّ على هويّتكم الثوريّة والإسلاميّة والإيرانيّة ذلك ما ينمّي الأمّة، فإنّ الخضوع لمعايير الاستكبار المفروضة ليس أمراً مشرِّفاً[١].

كما يعتقد سماحته أنّ صعود المرأة إلى مستويات علميّة عالية دون الوقوع في المنحدرات العديدة الزلقة التي تعترض طريقها هو ببركة الحجاب[٢]. ويرى أنّ الحجاب مسألة قيّمة، وهو الشرط الأساس لوصول المرأة إلى قمة الروحانية[٣]. وعلى ضوء هذا الفهم الصحيح لثقافة الحجاب، لن تكون المرأة أداةً بيد السياسات الغربية.

١-٣) السفور والعري كأداة فعّالة في ترويج الإلحاد

بالالتفات إلى أن ثقافة الغرب تقوم على العلمانية ومعاداة الدين، وأنه يريد الهيمنة على البلدان الإسلاميّة وخاصّة المجتمع الإيراني، فلابدّ له من القضاء على أحد الشعائر الإسلاميّة المهمّة التي تسمّى بالحجاب، بغية سوق الناس إلى الإلحاد؛ لأنّ الدوْر الهدّام

١. المصدر نفسه.
٢. المصدر نفسه.
٣. المصدر نفسه.

الذي تقوم به المرأة سيؤدّي إلى الإخفاق في تربية الأبناء وإلى الاختلال في النشاطات الاجتماعيّة للرجل.

كما اعتبر بعض علماء النفس الدافع الجنسي أقوى دافعٍ بيولوجيٍ - بعد النوم والطعام- من حيث القدرة على التأثير في سلوكيات الفرد. ويعتقد البعض وفقًا لهذه النظرية، أنّ الدافع الجنسي هو ما عُبّر عنه في الروايات الإسلامية، بسلاح الشيطان، وهو أكبر ما يؤثّر في سلوكيات الإنسان وأفعاله[١]. فقد قال نبي الإسلام ﷺ:

مَا تَرَكتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاء[٢].

سعى رضا خان البهلوي – الذي كان دميةً بيد المستعمرين- جاهداً من وراء إصدار مرسوم بنزع الحجاب إلى جني الثمار المزعومة للسفور، كإحياء التراث الوطني، وعدم تقليد الغرب، وتعليم المرأة، ونيل الملكات الأخلاقية والمزيد من النشاطات الاجتماعية. وقد سعى من خلال هذه المغالطات إلى تطبيقٍ أفضل لمشروع نزع الحجاب، ومحاربة الدين، وسوق الناس إلى الإلحاد؛ ولذلك ترى أنهم يؤكدون دائماً في المناسبات المختلفة في فترة رضا خان على أنّ نزع الحجاب ليس تقليدًا للغرب. فقد ورد في مرسوم رئيس الوزراء ووزير الداخلية بتاريخ ٢٧ آذر ١٣١٤ (١٩٣٥/١٢/١٩) ما يلي:

> **يجب التأكيد على وجه الخصوص... أنه يجب على المأمورين تذكير الناس بأنّ الغرض من هذه الأفعال ليس تقليد الأجانب، بل إن مصلحة الأسرة الإيرانيّة وسياسة البلد تتطلّب بناء الأسرة الإيرانيّة أيضاً على أساسٍ متين من المعرفة والملكات الأخلاقية وتبعية الدولة[٣].**

وجاء في منشور متّحد المضمون لوزارة التربية والتعليم بتاريخ ٢٥ آذر ١٣١٤ ما يصرح بالتالي:

---

١. الإسلام وعلم النفس: ٣٢٩.

٢. شرح نهج البلاغة ١٤٠٤ هـ: ٢٩٩/١٨.

٣. خشونت وفرهنك [العنف والثقافة]: ١.

اليوم يتمّ إحياء هذه السنّة الحسنة القديمة في الحياة، لا تقليداً للبلدان الأخرى؛ بل لوجود الفوائد والمحسّنات الطبيعيّة والاجتماعيّة لهذا النمط من اللبس في نفسه...[١].

واعتبر آية الله الخامنئي أنّ غرض المستعمرين من حذف الدين والعلماء -كبعض عواقب نزع الحجاب- كانت السيطرة السياسيّة والثقافيّة والاقتصاديّة على البلاد من خلال حكم رضا خان كعميلٍ للغرب، حيث تعاون معهم في هذا الأمر، وجرّد المدارس والجامعات من الصبغة الدينيّة، لأنّ هدف العدو من هذا المشروع كان دفع المجتمع نحو الإلحاد، الأمر الذي لا يتحقق بسهولة إلّا عن طريق تدريب الأشخاص اللادينيين في المراكز العلميّة، والذين كانوا سيصبحون في المستقبل قادة الأجيال[٢].

ومع أنّ جميع الشعب الإيراني لم يقبلوا بسهولة قضية نزع الحجاب، لكن يا للأسف خلال جيلين أو ثلاثة أجيال في ظلّ حكم السلالة البهلوية وحتّى انتصار الثورة الإسلاميّة وُلد الكثيرون على هذه الثقافة وترعرعوا عليها، وبالتالي لم يدركوا مثالبها ولم يتعرّفوا على البيئة الإسلاميّة النقيّة والأصيلة[٣]. إلّا أنّ المتديّنين في إيران خلال حكومة "رضا شاه" وما بعدها وقفوا ضدّ هذه المفاسد وعبّروا عن معارضتهم للإباحيّة في علاقات النساء والرجال، والشاهد التاريخي عليه هو انتفاضة مسجد "جوهر شاد" ومعارضة العلماء لها. ولكن في الحكم البهلوي الاستعماري والاستبدادي، تلاشت الشعائر الدينيّة واحدة تلو الأخرى. ومع انتصار الثورة الإسلاميّة اكتسبت الشعائر الدينية، بما في ذلك الحجاب، أهمّية خاصّة، ولهذا فإنّ العدو الغربي الاستعماري، وبالنظر إلى أهمّية دور الحجاب، بذل جهداً كبيراً لتشويه ثقافة الحجاب الوطنيّة والدينيّة. وبرأي آية الله الخامنئي، فإنّ تكتيك حملة العدوّ ضدّ ثقافة الحجاب

١. المصدر نفسه: ٤.
٢. قاعدة المعلومات لمكتب حفظ ونشر أعمال آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (مدّ ظله العالي).
٣. المصدر نفسه.

هو تجريد الناس عن أسلحتهم الأخلاقيّة بحيث يحاول العدو من خلال إفساد جيل الشباب والبنات وتوجيههم نحو الشهوات والأهواء النفسية، سوْق المجتمع نحو الاضمحلال والدمار[١]. ويضيف سماحته أنّ العدوّ لن يتراجع أبداً، فهو من خلال إنشاء القنوات المختلفة في المجالات الثقافيّة وإنتاج أفلام مخالفة للثقافة الإيرانيّة، يسعى لانتهاك حريم العفّة والحجاب للشعب الإيراني، ولن يدخر أي جهد لتحقيق هذه الغاية. بل اعتبر هذا العمل حرباً علنيّة على الشعوب، فيجب أن تقف الأمّة في وجهها[٢].

٢) ثمرات الحجاب والعفة وآثارهما

ينبغي القول إنّ الله تعالى، بوصفه خالقَ الإنسان، يعرف حاجاته أفضل من أيّ مخلوق آخر، وبناءً على تلك المعرفة الكاملة، يفرض عليه أموراً ويحرم أخرى. وفيما يفرضه على الناس آثارٌ وفوائد جمّة للإنسان، كما أنّ في فرض الحجاب على المرأة ثمراتٌ وفوائد جمّة للمرأة. وعلى ضوء تصريحات قائد الثورة، يمكن تقسيم فوائد ثقافة الحجاب وآثارها إلى أربعة أقسام كما يلي:

٢-١) ضمان الأمن لكلا الجنسين

كلّ إنسان يسعى إلى حماية خصوصيّته بشتّى الطرق طيلة حياته، وإن كيفيّة حمايتها تختلف باختلاف قيمة الخصوصية، ونظراً لقيمة خصوصيةالمرأة التي توفّر لها العفة والحياء، تعتبر المرأة الحجاب وسيلةً وحاجزاً قويّاً لحمايتها، لأنّ الحجاب يمكن أن يستر جمالها أفضل من أيّ شيءٍ آخر، فتمنع أنظار الطامعين من غير المحارم من التعدّي على حدودها الشخصيّة. فالحجاب يضمن أمن المرأة، وبالتالي أمن الرجل نفسيّاً وروحيّاً في المجتمع. وقد أكّد بعض علماء النفس في علاج القلق والتوتر الوهمي على جلسات «التحكم في الفكر»

١. المصدر نفسه.
٢. المصدر نفسه.

من خلال التحدّث، وقد حصل المرضى الخاضعين له على نتائج إيجابية[١]. ويمكن استخدام «التحكّم في الفكر والسيطرة عليه» في مجال ستر المرأة كأفضل طريقةٍ دينيّةٍ وعلميّةٍ للسيطرة على الأفكار الجنسيّة للرجل والمرأة، والتي تضمن الأمن العقلي والنفسي للجنسين في السر والعلن، وكلّما ظهرت المزيد من النساء العاريات في المجتمع ازدادت نظرات السوء وما يترتب عليها من مخاوف.

وقد أشار النبيّ ﷺ إلى الهاجس الفكري حول نظر الرجل الشهواني إلى أجنبيّة بقوله: «**النَّظَرُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيس**»[٢]، كما أنّ الحديث التالي يشير إلى قلق الإمام عليه السلام حول هذا الموضوع أيضاً، إذ قال أبو عبد الله عليه السلام: «**والنَّظَرُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيَسَ مَسْمُومٌ، وَكَمْ مِنْ نَظْرَةٍ أَوْرَثَتْ حَسْرَةً طَوِيلَة**»[٣]، أي أن نظرة كهذه تترك ندماً طويلاً وتُعرّض الأمن الفكري للرجل والمرأة للخطر. وتشير بعض الأحاديث إلى ثلاثة أنواع من النظر إلى غير المحرم مطلقاً (أعم من الستر وغيره)، فأمّا النظرة الثالثة بمثابة سهمٍ مسمومٍ من سهام الشيطان، وأمّا النظرة الثانية، فهي إضافة إلى كونها ضارّة، فهي مقدمة للنظرة المسمومة، فمن استطاع تجاوز هذه النظرة نال الأمن الروحي والنفسي وذاق حلاوة الطعم الحقيقي للإيمان وهو أعظم الملذات، وفي رواية عن الإمام علي عليه السلام، أنه سُئِلَ عَنِ اَلرَّجُلِ تَمُرُّ بِهِ اَلْمَرْأَةُ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا، قَالَ:

> **أَوَّلُ نَظْرَةٍ لَكَ -أي: من الطبيعي أن ينظر إليها الإنسان- وَاَلثَّانِيَةُ عَلَيْكَ لاَ لَكَ، وَاَلنَّظْرَةُ اَلثَّالِثَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ؛ مَنْ تَرَكَهَا لِلّهِ لاَ لِغَيْرِهِ أَعْقَبَهُ اَللّهُ إِيمَاناً يَجِدُ طَعْمَهُ**[٤].

ووفقاً لهذه السيطرة على الفكر والنظر، خاصّة فيما يتعلّق بثقافة العري الغربيّة،

١. آيين زندگی: ٢٣٧.
٢. جامع الأخبار: ٩٣.
٣. المحاسن: ١/ ١٠٩.
٤. دعائم الإسلام: ٢/ ٢٠٢.

اعتبر قائد الثورة الإسلاميّة الحجاب وسيلةً لضمان أمن الرجل والمرأة على حدٍّ سواء، ممّا يوفّر في المقام الأوّل أمن المرأة، و ثانياً أمن الرجل. ويؤمن سماحته أنّنا إذا أردنا أن نشهد مشاركةً فاعلةً للمرأة والرجل في المجتمع والأوساط العلميّة والأكاديميّة، فلا بد من توفير بيئةٍ آمنة لجميع شرائح المجتمع، كما يجب توفير الأمن من حيث العِرض والأخلاق[١]. لذلك يرى أنّ الحجاب ليس منافياً لنشاط المرأة في مختلف المجالات الاجتماعيّة، بل له فوائد عدّة، منها خلق الأمن في المجتمع[٢].

٢-٢) تقدير المرأة واحترام كرامتها ومنزلتها

ومن الفوائد الأخرى للحجاب تكريم المرأة واحترامها. ولقد أنعم الله على الإنسان بمنحه الحقّ في الحياة وإعطائه النعم الإلهيّة التي لا تُعدّ ولا تُحصى، وقد وهبَ روحَه الكرامة والشرف حتّى يتمكّن من اتّباع طريق الكمال والسعادة بمقتضى الحكمة الإلهيّة، فكل إنسان بطبيعته، ذكراً كان أم أنثى، يتوقّع التقدير والاحترام من قبل الآخرين، ويختلف شكل هذا الاحترام باختلاف الثقافات والمجتمعات سواء على حق كانت أم على باطل. كما اعتبر آية الله الخامنئي الحجاب قيمةً تتماشى مع الطبيعة البشرية[٣]. وما كان منسجماً مع الطبيعة فهو نابعٌ من تكريم الفرد واحترامه؛ لذلك يقول سماحته:

> **حجاب المرأة هو تكريم لها. وحجاب نساء الحكّام والأشراف وكبار الشخصيّات والقادة في إيران القديمة، وحتّى قبل مائتي أو ثلاثمائة عام في أوروبا كان رمزاً لإكرامهنّ واحترام مكانتهنّ، كما كان منع نساء الطبقة الدنيا من ارتداء الحجاب بمثابة إهانة لهن وانتقاص من مكانتهن. ومن أجل ذلك جاء حكم الإسلام بوجوب الحجاب مطلقاً لكسر هذا الاحتكار والتمييز. يعتقد قائد الثورة أنّ على الغرب أن يجيب عن سبب ترويجه لـ**

١. قاعدة المعلومات لمكتب حفظ ونشر أعمال آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (مدّ ظله العالي).
٢. المصدر نفسه.
٣. المصدر نفسه.

"السفور القسري" الذي جعل المرأة سلعةً وأداةً لإشباع غرائز الرجال، في مقابل افترائه على الإسلام والثورة الإسلاميّة واتهامها بفرض الحجاب بالقوة "الحجاب القسري"[١].

قال المؤرخ الفرنسي الشهير "الدكتور غوستاف لوبون" عن الحجاب الإسلامي وقيمة المرأة واحترام كرامتها في ظله:

لقد عمل الإسلام بجهدٍ كبيرٍ لتحسين مكانة المرأة، وهو أوّل دينٍ رفع مكانة المرأة، فإنّ نساء الشرق بشكلٍ عامّ، في وضع أحسن من النساء الأوروبيّات من حيث المكانة والحرمة والشخصيّة العلميّة والتربويّة والسعادة[٢].

يقول آية الله الخامنئي:

مع أنّ الحجاب قد يكون فيه مشقّة على المرأة؛ إلا أنّ له آثاراً قيّمة وعميقة جداً، فهو مصدر فخرٍ وتقديرٍ فضلاً عن وجوبه الشرعي»[٣]. فلابدّ أن نكون حذرين تجاه شعارات من قبيل: "لا إكراه في الحجاب" و"الحجاب عبوديّة للمرأة"، فهم يريدون نزع الحجاب عن رؤوس النساء، وسلب شخصيّتهنّ وحرمتهنّ وكرامتهنّ، وجرّهنّ إلى العبوديّة التي هي أسوأ بكثير من عبوديّة الحجاب (المزعومة)، وجعل المرأة ألعوبة بيد الرجل باسم الحرية، وهذه الإلقاءات هي أسوأ أشكال العبوديّة للنساء، ولذلك يؤكّد قائد الثورة أنّ الحجاب علامة تميّز المرأة وحرّيّتها. وخلافاً للدعايات التافهة والسطحيّة للماديّين، فإنّ الحجاب ليس وسيلة تقييد، بل هو سبب لوقار المرأة ورزانتها وتكريمها[٤].

٢-٣) ضبط الغريزة الجنسيّة

من فوائد الحجاب السيطرة على الميول النفسانيّة، فجمال المرأة وزينتها وحركاتها المغرية هي من الأمور التي تثير الرجال، وقد عبّر عنه القرآن بتبرّج الجاهليّة[٥]. والحجاب والستر من منظار القرآن الكريم هو في الأصل يوجّه رسالةً مهمّةً إلى المجتمع تسمى

١. المصدر نفسه.
٢. حجاب و عفاف در ادب فارسي [الحجاب والعفة في الأدب الفارسي]، صحيفة كيهان الفارسية.
٣. قاعدة المعلومات لمكتب حفظ ونشر أعمال آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (مدّ ظله العالي).
٤. المصدر نفسه.
٥. الأحزاب: ٣٣.

«حصانة الرجل والمرأة إزاء الشهوات»[١]. فالحجاب إضافة إلى أنه يحمي المرأة من الاعتداء الجسدي والجنسي[٢]. فإنه يحمي الرجل -بالدلالة الالتزامية للآية الكريمة التالية- من الأضرار الروحية والنفسية، قال تعالى: ﴿**يا أَيُّهَاَ النَّبِيّ قُلْ لِأَزْواجِك وَبَناتِك وَنِساءِ الْمُؤْمِنينَ يُدْنينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ ذلكَ أَدْنى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكانَ اللهُ غَفُوراً رَحيماً**﴾[٣]. وكما سبق في ذكر الروايات الإسلامية حول النظرة الشهوانيّة، فإنّ القرآن الكريم يؤكّد أنّ الإثارة الجنسيّة تحدث بنظرة كلّ من الرجل والمرأة إلى الآخر؛ ولذلك فُرض عليهما اجتناب النظرة الشهوانيّة إلى غير المحرم في المرحلة الأولى، ثمّ حفظ عورتهما في المرحلة الثانية[٤]. والمراد من الحفظ هنا: الستر، بحيث يمكن ضبط الغريزة الجنسيّة، كما قال سبحانه: ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ** ﴾[٥]

وحسب الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، فإنّ (البصبصة) تحدث من قبل الرجل والمرأة على حدٍّ سواء، لأنّ الاعتقاد السائد فيما مضى أن المرأة لا تسترق النظر، لكن وجد بعض الباحثين الغربيين أخيراً أنّ المرأة تبصبص وتنظر بشهوة كما يبصبص الرجل وينظر إليها بشهوة، لكن نظراً لاتّساع نطاق نظرها، فإنّها أقلّ تعرضاً لتهمة البصبصة. فيجب على كلا الجنسين السيطرة على نظراتهما الشهوانية.

ولكن وفقاً للروايات الإسلاميّة (كما مرّ سالفاً) وآيات القرآن الكريم، فإنّ طبيعة

١. النور: ٣٠-٣١.
٢. الأحزاب: ٥٩.
٣. الأحزاب: ٥٣.
٤. النور: ٣١-٣٠.
٥. النور: ٣١ – ٣٠.

زينة المرأة لها جاذبيّة قويّة تلفت نظر الأجنبي إليها. يقول العلامة الطباطبائي رحمه الله في معنى زينة المرأة وسترها في الآية الكريمة: «المراد بزينتهنّ مواضع الزينة لأنّ نفس ما يتزيّن به كالقرط والسوار لا يحرم إبداؤها، فالمراد بإبداء الزينة إبداء مواضعها من البدن. وقد استثنى الله سبحانه منها ما ظهر، وقد وردت الرواية أنّ المراد بما ظهر منها الوجه والكفان والقدمان...»[١].

ويبدو أنّ لطافة جسد المرأة وطبيعتها، وبعبارة أخرى، اتصاف بعض مواضع جسدها بالزينة، هو السبب في الإثارة الجنسية للرجل؛ ولعل السبب في تقديم بيان عقوبة الزانية على الزاني، يكمن في تأثير طبيعة المرأة وجنسها في إثارة الرجل وإثارته، قال تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ...**﴾[٢]، ولذلك أمرت النساء المسلمات بعدم التبرج وإبداء زينتهنّ وجمالهنّ كنساء الجاهليّة[٣].

كما يجب عليهنّ إخفاء الزينة غير الظاهرة والمثيرة عن أبصار الأجانب، كي لا يُؤذين، ويمنع إلحاق الأذى النفسي بالرجل الأجنبي. فالظاهر حسب آيات القرآن الكريم أنّ نزع الحجاب وعدم حفظ الرجل والمرأة لفروجهما يؤدّي إلى الوقوع في الشهوات الجنسية[٤].

ومع أنّ العلامة الطباطبائي يرى أنّ المراد بحفظ الفروج، هو ستر العورة وأنه لا دلالة للآية على حرمة الزنا أو اللواط، بل وجوب ستر العورة فحسب[٥]. لكن يمكن القول: إنّ هذا الأمر لا يتعارض مع ما قيل آنفاً، لأنّ نتيجة الكشف عن عورة أمام شخص آخر هي إثارة الشهوة، مما يؤدي إلى الزنا واللواط ذهنيّاً أو عمليّاً، وقد مال إليه

١. الميزان في تفسير القرآن ١١٢-١٥ / ١١١.
٢. النور: ٢.
٣. الأحزاب: ٣٣.
٤. النور: ٣٠-٣١.
٥. الميزان في تفسير القرآن، المصدر نفسه.

الطبرسي في تفسير هذه الآية. فينبغي أن يقال في إثبات حجاب المرأة، أنه قد أثبتت الأبحاث الإثنولوجية والنفسية والبيولوجية والعصبية خلال عدّة سنوات أن هناك فروقاً واضحة بين الرجل والمرأة خلافاً للتفكير الليبرالي الغربي[١]. ومن تلكم الفوارق موضوع الحجاب، ووجود الاختلاف بين الرجل والمرأة: ﴿**وليس الذكر كالأنثى**﴾[٢]، فإنّ طبيعة الذكر تظهر ردود فعل جنسيّة عند النظر إلى الأنثى. كما أكّد الباحثون أنّ المرأة بشكلٍ عامّ لا تُثار جنسيّاً برؤية جسد الرجل العاري، ولكنّ الرجل تُثار شهوته بشدّة بمجرد رؤية امرأة عارية، فإنّ بعض المجلات النسائيّة، قد غفلت عن هذا الاختلاف، وأصرّت على نشر صور كبيرة وملونة لرجال عراة واعتقدت أنّ مشاعر المرأة تجاه العري هي نفس مشاعر الرجل، لكن كانت النتيجة أن هذا النوع من المجلات لم ينل إقبالاً من قِبل النساء بل ظلّ متروكاً ومهملاً[٣].

ووفقًا لمسح الدماغ الذي تمّ إجراؤه في خصوص تقويم مدى الحبّ لدى الأفراد، هناك ثلاثة أنواع من المشاعر تسمى "الشهوة" و"الوله والافتتان" و"الاعتماد والاتكال" في مناطق الدماغ المختلفة، ولكلّ منها تركيبةٌ كيماويّة محدّدة في الدماغ. فعندما ينجذب الإنسان نحو شخصٍ ما، يُشغَّل الدماغ ويُفعَّل. وفي مرحلة الافتتان، تحتل عقلَه الأفكارُ المتعلقة بالشخص المعجب به ولا يمكنه إخراج هذه الأفكار من عقله أو التخلّص منها بأيّ نحو من الأنحاء، فيركّز عقله على الصفات الإيجابيّة لمعبوده ويتجاهل صفاته وعاداته السيئة.

يعتقد الباحثون أنّ الرجل والمرأة يختلفان في هذه المشاعر الثلاثة من حيث الكمّ والكيف، وفي البقاء والزوال[٤]. وقد ذُكر أيضاً أنّ السبب في ذلك هو أنّ ما يثير شهوة

١. چرا مردان گوش نميدهند وزنان ميتوانند نقشه بخوانند: ١٦.
٢. آل عمران: ٣٦.
٣. المصدر نفسه: ٢٧٢.
٤. المصدر نفسه: ٢٨١.

الرجل، هو كبر حجم الغدّة الواقعة تحت المهاد وغلبة هرمون التستوستيرون لدى الرجال مقارنة بالنساء، فالرجل يمتلك هرمون التستوستيرون١٠-٢٠ مرّة أكثر من النساء، فضلاً عن أنّ دور المجتمع في تأجيجها مؤثّر في كلا العنصرين[١].

ولهذا السبب، قد أدّى تجاهل أصل الحجاب ومتطلّباته في المجتمع الغربي، إلى ظهور تحدّياتٍ شخصيّةٍ واجتماعيّةٍ كبيرةٍ، فإنّ سلوك المرأة وملابسها غير المحتشمة يمكن أن تصبح وسيلةً لإغواء الرجال وإثارة شهواتهم، أما رعاية الحجاب وعدم الاختلاط بالرجال وفق ما تحدد في الدين الإسلامي هو أساس لكبح جماح الغريزة الجنسيّة. واليوم يمكننا مشاهدة موجة من المتعة الجنسيّة غير المقيّدة بجنس المرأة، ليس فقط في البلدان الغربيّة بل في بعض البلدان الإسلاميّة أيضاً، الأمر الذي يثير الاستياء وينذر بدمار الأسر والمجتمعات. و يعتبر قائد الثورة مبدأ الحجاب شرطاً من شروط التعامل مع هذه القضيّة ومعالجة هذا الخطر العظيم، حيث يشبه سماحته إثارة الشهوة والزنا بهاويةٍ ضخمةٍ عميقةٍ وخطيرةٍ، ونلحظ أنّ الدول التي قد سقطت في هذه الهاوية تشعر بالخوف والذعر، وبدأت تكافح وتبحث عن حلٍّ للخروج من هذه الهاوية التي ألقت نفسها فيها[٢].

ويذكر سماحته أنّ كميةً كبيرةً من الجرائم الجنسيّة التي تحدث في أمريكا وأوروبا اليوم، وأحياناً تذهب إلى أبعد من ذلك ولا تقتصر على الجنس الآخر، ترجع إلى اختلاط الرجال والنساء وفقدان الحجاب في هذه المجتمعات.[٣] ويؤكّد أنّ نزع الحجاب هو مقدّمة لإزالة العفّة والحياء في المجتمع الإسلامي، الأمر الذي سيؤدّي في النهاية إلى انشغال الناس بعاملٍ جنسيٍّ قويٍّ جدّاً[٤]. ويرى قائد الثورة أنّ الغرض من نزع حجاب

١. المصدر نفسه، ٢٣١.
٢. قاعدة المعلومات لمكتب حفظ ونشر أعمال آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (مدّ ظله العالي).
٣. المصدر نفسه.
٤. المصدر نفسه.

النساء في عهد "رضا خان" كان خلق موجةٍ من المخاطر الجنسيّة، ولم يكتف "رضا خان" بمستنقع الحداثة هذا، بل إنه -إضافة إلى نزع الحجاب- عمل بجدٍّ على إضفاء الطابع المؤسسي على الإباحيّة والفساد والدعارة في إيران، وزادت وخامة الأمر إلى حدٍّ أنّه أصبح وضع إيران من حيث المفاسد الأخلاقيّة والجنسية أسوأ بكثير مما كانت عليه أوروبا آنذاك[١]. واليوم، يعتبر الاغتصاب والعنف الجنسي من أكبر التحدّيات التي يواجهها العالم الغربي، ويمكن اعتبار الحجاب عاملاً أساسيّاً في تجنّب الرغبات الشهوانيّة والسيطرة على الغرائز الجنسيّة.

٢-٤) توطيد أواصر الأسرة

الأسرة هي المؤسّسة الأساسيّة والمحوريّة في المجتمع وتعتبر اللبنة الأولى للمؤسّسات الاجتماعيّة الأخرى، فإذا كانت الأسرة قويّة بما فيه الكفاية، يتقوّى نظام المجتمع ويُصان. وقلّما نجد في مجتمعات اليوم، والتي يشار إليها أيضاً باسم المجتمعات الصناعيّة، الهيكل التقليدي للأسرة بمعنى الأسرة السليمة. ففي هذه المجتمعات، يسعى الرجل والمرأة لكسب الثروة، وقد أدّى ذلك إلى ازدياد العلاقات بين الجنسين في المجتمع، وقد جعل الإسلام حدوداً لهذه العلاقات، بما في ذلك الحجاب والعفّة، بحيث تحافظ الأسرة على استقرارها في ظلّ حمايتها. وقد صرّح قائد الثورة الإسلاميّة أنّ المرأة هي العضو الأساس والركيزة الأولى للأسرة، وليس فقط في الأسرة، بل المرأة الركن الأصلي في المجتمع وله تأثيرٌ كبيرٌ في تنمية الرجل والمجتمع بأسره[٢].

وبينما عبّر سماحته عن الاختلاف في العلاقة بين الرجل والمرأة في بيئة الأسرة والمجتمع، فإنّه أكّد قائلاً: إذا ما حافظنا على القواعد التي وضعها الإسلام في بيئة المجتمع كحاجز بين

١. المصدر نفسه.
٢. المصدر نفسه.

الرجل والمرأة، فلن تضمحل الأسرة أبداً، لأنّ سماحته يعتبر الثقافة الإسلاميّة هي ثقافة عدم الاختلاط بين الجنسين[١]. وأمّا مفهوم السفور فهو بالضبط على خلاف فلسفة الدين الإسلامي وطبيعة المرأة؛ لأنّ الله قد فرض الحجاب على المرأة لحماية الجاذبيّات الكامنة في وجودها، ولكي تبقى في مأمن من أنظار الأجانب في المجتمع، بحيث يمكنها أن تحضر في المجتمع دون مخاوف نفسيّة وتشارك في النشاطات الاجتماعيّة في سلامٍ تامّ. ولكن معظم الدول الأوروبيّة والغربيّة، ومع تقدّمها العلمي والتكنولوجي الحديث، ما زالت جوفاء من الداخل، وبنيان الأسرة فيها هشّ وغير مستقر، وهي في الواقع فاشلة من الناحية الاجتماعيّة والثقافيّة. ويعتبر آية الله الخامنئي هذا الكمّ الهائل من الأحكام المتعلّقة بالرجل والمرأة، والمحرم وغير المحرم، والحجاب والعفّة في الإسلام هو لحماية البيئة الآمنة والودّية للأسرة وصونها من الخطر، الأمر الذي يدلّ بدوره على أهمّية مكانة الأسرة في المجتمع. ويؤكّد سماحته على ضرورة تمسّك النساء بالحجاب لتوطيد الأسرة، ويوصيهنَّ بمراعاة الحجاب الإسلامي والحضور في مختلف مجالات المجتمع غير متبرّجات، كما يدعو الرجال لتجنّب النظر إلى غير المحارم، وإلّا ستزول جاذبيّة زوجاتهم في نظرهم والتي هي عامل الحبّ بين الزوجين، وبزوال الحبّ ينهار أساس الأسرة[٢]. ويعتبر سماحته انهيار الأسرة أهمّ نتيجة لدخول المرأة الغربيّة في مستنقع الفساد[٣]. فيجب أن نعلم أنّ انهيار مؤسّسة الأسرة، سيؤثّر في النساء والأطفال أكثر من أيّ شيءٍ آخر. وكما قال قائد الثورة الإسلاميّة، فإنّ الإحصائيّات المؤسفة لتجارة النساء في مختلف البلدان، بما في ذلك النظام الصهيوني، تظهر أنّه بعد فصل النساء والفتيات عن أحضان أسرهنّ، يُتركن في أحضان الفسق والفجور، والأبناء غير الشرعيّين هم ثمرة أخرى لانهيار مؤسّسة الأسرة[٤].

١. المصدر نفسه.
٢. المصدر نفسه.
٣. المصدر نفسه.٣٨٦.
٤. المصدر نفسه.

وقد وجد جيمس بريسكوت، عالم الأنثروبولوجيا الشهير والرائد في دراسة تعليم الأطفال والعنف، أنّ العنف في ذروته يحصل في المجتمعات التي نادراً ما يتمّ فيها ملاطفة الأطفال، أما الأطفال الذين نشأوا بالحبّ فإنهم يتمتّعون بصحّة عقليّة وجسديّة أفضل، وسيكونون أكثر سعادة عندما يكبرون؛ ولهذا نجد أنّ معظم المغتصبين والمعتدين على الأطفال قد طُردوا من قبل عوائلهم في فترة الطفولة أو قضوا طفولتهم في دور أيتام مهجورة[1]. وتظهر هذه الأبحاث أنّ انهيار الأسرة -والتي من أسبابها تعرّي المرأة وسفورها- يتسبّب في تعرّض أولاد الزنا وغيرهم لأضرار جسيمة بسبب نشاطات والديهم الجنسيّة وطلاقهما، لذلك فإنّ الخطوة الأولى والأخيرة لإضفاء السكنة على الأسرة واستقرارها هي الحجاب واحترام الحدود التي ليست مجرد قيود على المرأة؛ بل هي حصانة، والتي من أهمّ وأعظم ثمراتها تقوية بُنيان الأسرة بواسطة المرأة المحجّبة ودورها التربوي السليم وحُسن تبعّلها باحترامٍ وعقلانيّة.

١. انظر: چرا مردان گوش نميدهند وزنان ميتوانند نقشه بخوانند، ٤٧.

نتيجة البحث

من النتائج التي توصل إليها البحث الحالي بحسب بيانات آية الله الخامنئي (قائد الثورة الإسلاميّة)، أن ثقافة الحجاب هي رمز للروحانيّة، وأن الغرب لم يحاربه بنظرته المادّية فحسب، بل إنّه بذل كلّ جهده في تدميره في المحافل العالميّة، بغيةَ نشر الفساد في المجتمعات والسيطرة عليها من خلال تدمير أساس الأسرة. وفي الواقع، يعتبر الغربيون المتعجرفون ثقافتهم المنحلة معياراً عالميّاً ويسعون بتعصّبٍ إلى جعلها عالميّةز ووفقاً لوجهة نظرهم المؤثّرة تجاه المرأة، فإنّهم يعتبرون ثقافة الحجاب عقبةً أمام كسب المال من وراء النساء؛ لذلك يروجون للسفور من خلال إنفاق مصاريف ضخمةٍ وتعبئة قوى خبيرة في هذا المجال.

وكانت انطلاقة الهجمة الثقافيّة ضدّ ثقافة الحجاب في إيران منذ الحقبة الدستوريّة والعصر البهلوي بيد الحكومات الاستعماريّة والغربيّة وقصائد الشعراء العملاء، وقد تأصّلت جذوره في الفترة اللاحقة، خاصّة بعد أمر رضا خان البهلوي بنزع الحجاب، لكنّ العلماء الحقيقيين، لا سيما الإمام الخميني رحمه الله، وقفوا في وجه هذه الثقافة المنحطة بالمرصاد، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، كان دور آية الله الخامنئي -بعد الثورة الإسلاميّة- في بيان ثقافة الحجاب الوطنيّة والإسلاميّة والدفاع عنها مهمّاً ومؤثّراً جدّاً؛ لأنّه في هذه الفترة ومع انتشار أفكار دعاة التغريب في الداخل والحكومة الليبرالية في نظام السلطة، تمّ تنفيذ دعايةٍ واسعة وهجمات افتراضيّةٍ عبر الفضائيّات ضدّ ثقافة الحجاب؛ لكنّ آية الله الخامنئي (حفظه الله) إضافة إلى اعتباره ثقافة الحجاب حكماً شرعياً من عند الله، اعتبره رمزاً وطنيّاً وإسلاميّاً، ورأى أنّ الحجاب يؤدي دوراً مهمّاً في ردع الشهوات وضبط الرغبات والغرائز الجنسيّة، ممّا يوطد أساس الأسرة ويؤدّي في النهايّة إلى سلامة المجتمع والأمن النفسي للمرأة واحترامها وتقدير مكانتها.

والآن من خلال هذا الوصف المعقول للحجاب والعفّة، يمكن القول إنَّ تلقّي

الحجاب كأمرٍ قسريٍ هو من خدع الاستكبار الغربي والمجموعات المنخدعة المتغربة والليبرالية، لأنّه كل ما فيه مصلحة وفائدة، يتطابق مع الفطرة والعقل، وهذا لا يُعتبر قسراً، بل هو اختيارٌ واعٍ يتوافق مع الفطرة والعقل والشريعة؛ لأنّ السفور والتعري إضافة إلى أنه يؤدي إلى تقويض أساس الأسرة، فإنه يتحدّى كرامة المرأة وأمنها في النشطات الشخصيّة والاجتماعيّة، ويثبط الرجال عن النشاطات الدينيّة والاجتماعيّة، ويتسبّب في أضرار واضطرابات جسديّة ونفسيّة.

مصادر البحث

القرآن الكريم.
١. ابن الأثير الجزري، مبارك بن محمد، (١٣٦٧)، النهاية في غريب الحديث والأثر، قم، مؤسسة إسماعيليان للنشر، ط: ٤.
٢. ابن منظور، محمد بن مكرم، (١٤١٤ق)، لسان العرب، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - دار صادر، ط: ٣.
٣. ابن حيون، نعمان بن محمد مغربي، (١٣٨٥ق)، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، قم، ط: ٢، مؤسسة آل البيت عليهم السلام.
٤. آرين بور، يحيى، (١٣٧٩)، از نيما تا روزگار ما، ط: ٣، طهران: زوار.
٥. آشوري، داريوش، (١٣٥٧)، تعريفها ومفهوم فرهنك، طهران، مركز آسيا للوثائق الثقافية.
٦. برقي، أحمد بن محمد بن خالد، (١٣٧١ ق)، المحاسن، قم، دار الكتب الإسلامية، ط: ٢.
٧. برومند سعيد، جواد، (١٣٨٢)، فرهنك؛ ريشه يابي وكاربرد در زماني آن، مركز كرمان شناسى، ط: ١، كرمان.
٨. بهار (ملك الشعراء)، محمدتقي، (١٣٨١)، ديوان أشعار. طهران: علم.
٩. بستاني، محمود، (١٣٩٢)، إسلام وروانشناسي (الإسلام وعلم النفس)، المترجم: محمود هويشيم، مشهد، ط: ٥، مؤسسة البحوث الإسلاميّة.
١٠. بيز، باربارا وآلن، (١٣٨٧)، چرا مردان گوش نميدهند وزنان ميتوانند نقشه بخوانند، ترجمة: ناهيد رشيد ونسرين كلدار، طهران، نشر آسيم.
١١. تامبسون، جان، ب، (١٣٧٨)، ايدئولوژى وفرهنگ مدرن، ترجمة: مسعود أوحدي، طهران، آينده پويان.
١٢. جعفري، محمد تقي، (١٣٨٦)، فرهنگ پيرو فرهنگ پيشرو، مؤسسة تدوين ونشر أعمال العلامة الجعفري، ط: ٣، طهران.
١٣. الحلبي الشافعي، علي بن إبراهيم، (د.ت)، السيرة الحلبية، ج٢، بيروت: المكتبة الإسلامية.
١٤. ديورانت، ويليام جيمز، (١٣٧٨)، تاريخ الحضارة، ترجمة: أحمد آرام، ج٢، طهران: إقبال.
١٥. دهخدا، علي أكبر، (١٣٧٧)، فرهنك دهخدا، بإشراف: محمّد معين وسيد جعفر شهيدي، مؤسّسة منشورات جامعة طهران.
١٦. الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، (١٤١٢ق)، مفردات ألفاظ القرآن، بيروت - دمشق، دار القلم - الدار الشامية، ط: ١.

١٧. رزمجو، حسين، (١٣٦٩)، شعر كهن در ترازوى نقد أخلاق أسلامي، ط٢، مشهد: العتبة الرضوية المقدسة.
١٨. الشعيري، محمّد بن محمد، (د.ت)، جامع الأخبار، ط: ١، المطبعة الحيدرية – النجف.
١٩. ضياء بور، جليل، (د.ت)، پوشاك باستانى إيرانيان، طهران: الإدارة العامة للمتاحف.
٢٠. الطباطبائي، السيد محمّد حسين، (١٤١٧ق)، الميزان في تفسير القرآن، قم، ط: ٥، مكتب الإعلام الإسلامي لجامعة المدرسّين بحوزة قم العلمية.
٢١. الطبرسي، فضل بن حسن، (١٣٧٢)، مجمع البيان في تفسير القرآن، مقدّمة: محمّد جواد بلاغي، طهران، ط: ٣، انتشارات ناصر خسرو.
٢٢. عشقي، ميرزاده، (١٣٥٧)، كلّيات مصور عشقي، تصحيح: علي أكبر مشير سليمي، طهران: علمي.
٢٣. فردوسي، أبوالقاسم، (١٩٧١م)، شاهنامه، تصحيح: آ. برتلس، مسكو، آكادمية العلوم للاتحاد السوفيتية، ج ٩.
٢٤. الفيومي، أحمد بن محمد، (١٤١٤ق)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، قم، مؤسسة دار الهجرة قم، ط: ٢.
٢٥. لاهوتي، أبوالقاسم، (١٣٥٧)، كليات أبوالقاسم لاهوتي، إعداد: بهروز مشيري. طهران: توكا.
٢٦. مديريت پژوهش انتشارات وآموزش سازمان أسناد ملى إيران، (١٣٧١)، خشونت وفرهنك (أسناد كشف حجاب)
٢٧. المطهري، مرتضى، (١٣٧٣)، يادداشت هاي أستاد، ج٦، برنامج نور مطهر، طهران: انتشارات صدرا.
٢٨. نسيم شمال، (حسيني الجيلاني)، سيد أشرف الدين، (١٣٧١)، كلّيات جاودانه نسيم شمال. إعداد: حسين نميني. طهران: أساطير.
٢٩. ديل، كارنكي، (١٣٩٢)، آيين زندگى، ترجمة: قدير كلكاريان، طهران، منشورات تيموري.
٣٠. الهلالي، سليم بن قيس، (١٤٠٥ق)، كتاب سليم بن قيس الهلالي، قم، الهادي، ط: ١.

المقالات

٣١. ابراهيمي، عزت ملا، توكلي محمدي، محمدرضا، (١٣٩٤)، «بررسى تحليلي نقدي درون‌مايه‌هاى شعر زنانه در عصر مشروطه»، مجلة المرأة في الثقافة والفن لجامعة طهران، الدورة ٧، العدد ١، ص ٧٧-٩٧.

٣٢. زندي بجوه، ناهيد، حجاب وعفاف در أدب فارسي، صحيفة كيهان الفارسية، السنة: الرابعة والسبعون، العدد ٢١٥٤٢ رمز الخبر: ٩٥٧٧٤، ١٣٩٥/١١/٢.
٣٣. الخامنئي، السيد علي، قاعدة المعلومات لمكتب حفظ ونشر أعمال آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (مدّ ظله العالي)، معهد البحوث الثقافية للثورة الإسلامية، www.khamenei.ir شبكة معلومات هرمز www.hormoz.ir.